وشفاهها؟ إنّها لتبتغي استقلالاً وحرية وبحبوحة وسلماً دائماً. أمّا كيف تستقلّ أمّة عن أمّة في عالم تشابكت مصالحه ومجاري حياته تشابك الشرايين في الجسد الواحد، وكيف تتحرّر أمّة من أمّة وأنفاس الواحدة في صدر الأخرى، ويد هذه في جيب تلك، وأفكار تلك في رأس هاتيك، وكيف تعيش أمّة في بحبوحة وجارتها في ضنك، وكيف تحيا في سلم مع جاراتها، أمّة لا تسلّم على جارة إلّا وفي يدها خنجر أو قنبلة! أمّا كيف يكون كل ذلك، فالجواب عليه ليس عندي بل عند الذين جعلوا من المدنيّة بيتاً للمجانين.

أليس أنّ شعوب الأرض منذ أقدم الأزمان حاولوا بناء مدنيّات تكفل لهم الاستقلال والحرية والبحبوحة والسلم الدائم؟ وماذا جنوا من محاولاتهم؟ لقد بارت مدنياتهم، وما خلّفت لهم غير الخيبة والبلبلة. ذاك لأنهم طلبوا الحرية والبحبوحة والسلم من غير أبوابها. فهل نحن طالبوها من أبوابها؟ وهل لمدنيتنا إكسير جديد ما عرفته سالف المدنيات يكفل لها البقاء ولنا الهناء؟ أواه! ليس لديها من إكسير غير تعويذة جرباء جوفاء دعتها «الديموقراطيّة».

إنّي لكثرة ما تطرق هذه الكلمة مسمعي بإذن وبغير إذن، ولكثرة ما تساور بصري في الصحف والكتب،